٣

المبادئ الأساسية الثلاثة للسلام العالمي في نظر الإمام علي عليه السلام

فدا حسين الحليمي (باكستان)[١]

التمهيد[٢]

إن فلسفة الحياة الإجتماعية والفردية في المجتمع تقوم على أساس السلام والأخوّة، ومن هذا المنطلق نجد رسالة السلام في القرآن وفي سيرة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

في القرآن الكريم وفي أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام، هناك ثلاثة مبادئ ذهبية لإحلال السلام بين مختلف البلدان والأمم والمجتمعات، وهي في غاية الأهمية، فهي عبارة:

إحترام حقوق الإنسان، وإحترام شخصية الآخرين، وقبول حقوق الآخرين؛ وهي مبادئ يمكن، إذا تم الالتزام بها، أن تضع الأساس للأمن والرفاهية والسلام الدائم في المجتمعات البشرية.

يدعو الإسلام البشر جميعًا إلى المصالحة والسلام، وفي هذا يرى بقاء الإنسانية، وهو دليل على قدرة الإسلام وسعته على الرغم من كل اختلافاته، فإنه يدعو أهل الكتاب إلى الوحدة والتضامن على أساس كلمة واحدة فقط. في الإسلام الحرب ضرورية عندما يضيع مجد الإسلام في أيدي الأعداء ويريد العدو تدمير الإسلام ويسعى لتحقيق هذا الغرض فقط.

---

١. الدكتوراه فى التفسير و علوم القرآن والاستاذ في جامعة المصطفى العالميّة و جامعة آل البيت 786@yahoo.com.

٢. ان هذا المقال للباحث الشهير حجة الإسلام والمسلمين الدكتور محمد يعقوب البشوي من فضلاء الباكستان فى التفسير التطبيقى و عضو اللجنة العلمية فى علوم القرآن و الحديث فى الجامعة المصطفى العالمية bashovi786@yahoo.com

لقد ساوى الإسلام قتل الإنسان بقتل جميع البشروخلاص الإنسان على أنه خلاص البشرية جمعاء، مما يدل على أهمية الأمن في الإسلام ويكشف عن روح احترام الإنسانية في الإسلام.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإمام علي، المبادئ الذهبية الثلاثة، السلام، المصالحة، احترام حقوق الإنسان، احترام الشخصية، إعطاء الآخرين حق الحياة.

المقدمه

من مبادئ الإسلام الدائمة إقامة حياة سلمية يسودها السلام بين جميع البشر، ولا سيما داخل المجتمع الإسلامي، لأن الإسلام دين سلام وأمن، ولا يعترف بالظلم والعدوان على أي أمة كانت، وكل الجهود الإسلام هو خلق السلام والنظام في المجتمع.

معرفة أهمّ المفاهيم

سأراجع هنا معنى السلام من حيث أقوال وشروط في القرآن الكريم وفي كلمات أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

الصلح لغةً: الصلح كلمة عربية، مشتقة من أصل مُصالحة أو مَصالحة من باب المفاعلة، ومعناها الحرفي المصالحة والمصالحة (عميد، فرهنگ عميد، ص۱۶۲۷).

الصلح في الإصطلاح: تستخدم المصالحة عمومًا في معنيين: (جعفر، لنغرودي، ترمينالوسي للحقوق، ص۴۰۸) المعنى الأول هو السلام مقابل الحرب والصراع، وهو أحد القوانين الدولية الحالية. والمعنى الثاني هوتعريف السلام في الحقوق الفردية على مستوى المعاهدة.

ينشأ مفهوم الصلح عندما يكون من الضروري القتال هناك، ولكن الجهاد الإبتدائي والجهاد الدفاعي ومحاربة المتمردين إلزامية في زمن الإمام المعصوم عليه السلام ولكن مصلحة الإسلام والمسلمين تتطلب أن يوقع الإمام معصوم معاهدة سلام مع العدو، حيث يكون عدد المسلمين ضئيلاً اولا يستطيعون مواجهة العدو، أو يتركون الحرب للوصول إلى السلطة، أو على أمل أن يتحول الطرف الآخر إلى الإسلام ويصبح مسلمين نعم إذا لم يكن الأمر كذلك فإقامة السلام لا يجوز. (محقق حلي، شرائع الإسلام، كتاب الجهاد نقلا عن كتاب (مجموعة أعمال الشهيد المطهري)، المجلد ۱۶، ص۶۲۸).

الصلح في القرآن وفي توجيهات الإمام علي عليه السلام

في القرآن وأحاديث أمير المؤمنين علي عليه السلام، تم وضع ثلاثة مبادئ لإرساء أسس السلام بين الأمم، ومن خلال تطبيق هذه المبادئ يمكننا تحقيق السلام الدائم في شتّى المجتمعات

الإسلاميّة وفي المجتمعات غير الإسلامية.

وفي هذا المقال، نقف على معنى الصلح بأن نحيا حياة المصالحة، وهذا ما أكده القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

لا يدعو القرآن إلى العدالة في المجتمع الإسلامي فحسب، بل يأمر أيضًا بالعدالة مع غير المسلمين؛ حيث يقول الله: لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطين» (ممتحنه، ٨) فهده الآية المباركة تتحدث عن حماية حقوق الأقلية غير المسلمة وحسن معاملتها؛ وهي طبقة محايدة في المجتمع لا ينبغي اضطهادها.

وكذلك يوجد حكم واضح حول أهل الكتاب في القرآن؛ حيث يقول الله عزوجل: وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون* (العنكبوت: ۴۶).

وقد جاء في الآية بوضوح أنه في أوقات الخلاف يجب أن يكون هناك قانون هو مصدر سلطة للجميع. ويجب على الجميع إلى التحدث مع بعضهم البعض من خلال الدليل والبرهان، ملتزما حول محوريّة التوحيد والعبويّة لله تعالى؛ حيث يقول الله تعالى: قُل يا أَهلَ الكِتابِ تَعالَوا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَينَنا وَبَينَكُم أَلّا نَعبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعضُنا بَعضًا أَربابًا مِن دونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقولُوا اشهَدوا بِأَنّا مُسلِمونَ» (آل عمران، ۶۴)

لقد جعل الإسلام السلام والمصالحة المبادأ الأساسية، وطالب من جميع أهل الكتاب على أساس قضية واحدة، بتوحيد بالوحدة (ونبذ الخلاف)؛ ولا يمكن التغلب على جميع الخلافات الداخلية إلا عندما يكون خير الآخرين مرئيًا للإنسان؛ ويمكن أن يقضي على الظلم من المجتمع من خلال البناء على أرضية مشتركة والصفة المشتركة.

يقدم الإسلام أفضل صيغة لسلام عالمي يقوم على الاحترام المتبادل، والمصالحة تقوم على المبدأ الأول، بل و حتى يدعو جميع أهل الكتاب إلى الاتحاد في محور قضية واحدة حتى لا يتخلص المجتمع من لعنة التعصب وفقدان التحمل الطرف الآخر.

وكذلك بالنسبة للمجتمع المسلم نفسه، يقدم الإسلام صيغة أخرى جيدة جدًا وهي مبدأ "الأخوة"، بحيث تقوم العلاقات بين المجتمع الإسلامي على أساس الأخوة وبالطريقة، يجب أن تقوم علاقات المجتمع المسلم على الثقة المتبادلة وحتى ينشأ مجتمعاً سالماً، ومهتماً (للآخرين)، والذي يصبح قادراً على أن يدرب المجتمع الإسلامية بطريقة سلمية؛ وإلى هذا أشارة إليه قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون* (حجرات: ۱۰)

إن المصالحة بين البشر، وإيجاد التفاهم المشترك في المجتمع، وإرساء السلام بين مختلف الدول والأمم، هي علامة على التقوى والخوف من الله، وهي صفة من صفات الأتقياء، وبسبب هذا العمل، فإن رحمة الله الخاصة تغطّهم.

كلمات الإمام علي عليه السلام تؤكد على السلام كثيرا؛ أمير المؤمنين عليه السلام كتب رسالةً إلى مالك أشتر وأوصى له فيها قائلاً: وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاکَ إِلَيْهِ عَدُوُّکَ وَللّهِِّ فِيهِ رِضًا» (المجلسی، بحارالانوار، ج۳۳، ص۶۰۰).

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام أبنائه الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وغيرهما من الأقارب والمؤمنين الأعزاء، مؤكداً أن الإصلاح بين الناس يجب أن تكون له الأولوية الأولى في حياتهم؛ حيث قال: اوصِيكُما وَ جَمِيعَ وَلَدِی وَأَهْلِی وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِی بِتَقْوَى اللهِ و نَظْمِ أَمْرِكُم و صلاح ذات بينكم» (فيض الاسلام، نهج البلاغه، الرسالة ۵۳).

سر الإصلاح الاجتماعي أوفساده يكمن في التقيد بهذه المبادئ الثلاثة المهمة وعدم احترامها.

المبادئ الذهبية الثلاثة للسلام

في مجتمع ما، يؤدي انتهاك حقوق الآخرين وعدم احترام شخصية الآخرين وحرمان الآخرين من حقهم في الحياة إلى حدوث الشرور الإجتماعي، مثل هذا المجتمع الذّي يحل فيه الفساد و والتمرد محل العدالة؛ لن يكون أقل من جحيم؛ نعم إذا تم احترام حقوق وشخصية الآخرين ويحترم حق الآخرين في الحياة في مجتمع ما، فعندئذ ستتم رعاية الإنسانية في ذلك المجتمع وسنكون مؤهلين لأن نُدعى بشراً؛ وليسود السلام والنظام في هذا المجتمع، ويكون هذا

المجتمع مستقرًا من جميع النواحي، لذلك من الضروري للثورة الاجتماعية أن تفهم المبادئ الذهبية الثلاثة للسلام من وجهة نظر الإسلام؛ فهي

١. احترام حقوق الإنسان ٢. احترام شخصية الآخرين. ٣. منح الآخرين الحق في الحياة.

١. احترام حقوق الإنسان

لقد التزم الإمام علي عليه السلام بهذا المبدأ الإنساني المهم طوال حياته الطيّبة، حتى خلال فترة خلافته الظاهرة؛ أمر حكام حكومته بالالتزام الصارم بهذا المبدأ، لقد رفع مستوى الإنسانية في مدّة حكمه القصير ولم تسمح لأي شخص بإضطهاد الآخرين، كما اعترض عقيل شقيقه على عدالة علي عليه السلام مرة واحدة وقال: «فتجعلنى و أسود فى المدينة سواء. فقال: اجلس ما كان هاهنا أحد يتكلم غيرک و ما فضلک عليه إلا بسابقة أو تقوى. (فقه الصادق، روحاني، ج١٣، ص١٤٥) هل ستجعلونني مع السود متساوين في المدينة، أي هل ستمنحوننا حقوقًا متساوية؟ قال: اجلس هنا، ما من أحد يتكلم هنا سواك، ولا أحد يتكلم في حصّة طرف الآخر؟ الصدقة ليست لك، بل للسابقين في الدين والتقوى؛ وما هو تفوقك فيها؟ ولا تتفوق عليها إلا إذا كان هناك تفوق فهو تفوق للأسبقية في الإسلام والتقوى، أي أن الخزينة تقسم بالتساوي، ولا فرق بين أخي الحاكم والأمين وبين الرجل الأسود المدني، هذا هو أعلى مثال على احترام واحترام الإنسان ورعاية حقوقهم، فإذا كان الحاكم عادلاً، فسيتحرك المجتمع تلقائيًا نحو العدالة، وإلى هذا يشير ويقو: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَ إِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَ مَنْ هُمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ وَ الْأُمَرَاءُ (المجلسي، بحار الأنوار، المجلد ٢، ص٤٩). وكذلك فإن تغيير الحاكم سيغير الناس تلقائيًا. يسير الناس في المجتمع على ما يسير عليه الحاكم (: «الناس على دين ملوكهم) نهج البلاغة: (فرهنگ كوثر١٣٧٦ رقم ١٢).

إذا لم تنتهك الحقوق المالية للأفراد في المجتمع، وتحترم حقوق الدول والحكومات، فلن تحدث هناك حرب في ذلك المجتمع، مثل هذا المجتمع سوف يتجه نحو العدالة.

إن احترام حقوق الإنسان (التي يستخدمها الغربيون اليوم للتأثير على الآخرين) هو في الأساس أحد المبادئ الحتميّة للإسلام التي لا تتزعزع، والتي يسميها القرآن الكريم ب (الكرامة)

حيث يقول الله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلاً (اسراء: 70)

ففي هذه الآية المباركة، جعل الله الإنسان عزيزًا ومشرفًا، وأعطاه تفوقًا على غيره من المخلوقات و الله عزوجل بنفخ روحه في الإنسان أكرمه وإحترمه بذلك، حيث يقول الله تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدين (ص: ۷۲)

الإنسان هو حامل الروح الإلهي ولهذا صار المسجد للملائكة وأمرالملائكة جميعًا بالسجود أمام مكانة الإنسانية العظيمة، ومن لم يحترم الإنسان ضل وأبتعد من باب رحمة الله، وهذا ما أشارة إليه قوله تعالى: قالَ أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَليلاً (الأسراء: ۶۲)

لقد كان الشيطان أول من إنتهك حقوق الإنسان، ولم يكن يعلم أن للإنسان منزلة الخلافة الإلهية، حيث يقول الله: وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَليفَةً (البقرة: ۳۰) وأنّه يحمل العلم الإلهي، حيث يقول الله: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها (البقرة: ۳۱)

يجب أن يؤخذ في الاعتبار شرف الإنسان واحترامه، لكن الشيطان هو أول من لم يحترم الإنسان وإننتهك حقوقه، حيث يقول الله عزوجلّ: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْليسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرين (القرة: ۳۴) ولهذا قد وقع حرباً بين الإنسان والشيطان لا نهاية لها وتستمر إلى يوم الدين، وهي حرب خطيرة للغاية وليست حرب مادّي وبالسلاح، بل هي حرب باردة وغيرمرئيّة التي ستعرف بالعلامات وستهزم العدو بالبصيرة.

أمير المؤمنين علي عليه السلام يذكر هذه الحادثة ويرى بأنّ سجدة آدم عليه السلام كان سببها احترام إنسانيّة الإنسان؛ حيث يقول: وَ اسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وَ قَبِيلَهُ اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ (المجلسى، بحارالانوار، ج۱۱، ص۹۷).

فيجب على الإنسان أن يحرص على احترام وكرامة بعضه البعض من خلال السلام

والصلح حيث يقول الله: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ (الحجرات، ١٣).

يرتبط احترام الإنسان وشرفه بتقواه وخوفه من الله؛ فكلما زاد خوف الإنسان من الله، زاد قدرة الإنسان على تجنب من المعاصي، وكلما زاد إجتناب الإنسان من السوء، كلما اقترب من الله تعالى؛ وسيزداد شرفه الإجتماعي.

٢. احترام الشخصية

إن احترام شخصية الآخرين يمكن أن يمنع النزاعات بين الأفراد والدول، ويمكن أن يساعد هذا المبدأ في جعل المجتمع مجتمعًا أفضل ومثاليًا ويدفعه نحو مدينة فاضلة.

الاحترام الحقيقي للإنسان هو في تقواه، فكلما اقترب الإنسان من الله؛ زاد الله كرمته؛ وطالما بقي مبدأ كرامة الإنسان في المجتمع، يكون هناك سلام وأمن؛ ويعتبر الإمام علي عليه السلام أن هذا المبدأ هو احترام الإنسان نفسه، واحترام لإنسانيّته. ويرى بأنّ الحفاظ على احترام الإنسان مبدأ في يد الإنسان، ويضيف حتى يتوّجه الناس إلى هذه الحقيقة قائلاً: لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» (نهج البلاغة، فيض الاسلام، الخطبه ٢٧).

العبودية تتعارض مع كرامة الإنسان، لذلك من المهم ألا تسود فكرة العبودية في المجتمع؛ للبشر بعنوان أنّه انسان يجب الحفاظ على إحترامه في المجتمع؛ وهذا ما نجد في سيرة أمير المؤمنين؛ حيث ورد عنه: خَرَجَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَرَاكِبٌ فَمَشَوْا خَلْفَهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَكُمْ حَاجَةٌ فَقَالُوا لَا يَاأَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّا نُحِبُّ أَنْ نَمْشِيَ مَعَكَ فَقَالَ لَهُمُ انْصَرِفُوا فَإِنَّ مَشْيَ الْمَاشِي مَعَ الرَّاكِبِ مَفْسَدَةٌ لِلرَّاكِبِ وَمَذَلَّةٌ لِلْمَاشِي (المجلسي، بحرالانوار، ج١، ص٣) والمشي على صهوة الجواد يؤدي إلى انحراف الفارس وضلاله وهو إذلال المؤمن، لأن البشر سواسية؛ وقد أشار الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر بصفته والياً للمصر إلى هذه الحقيقة؛ قائلاً: وَ لَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمْ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْق (المجلسي، بحرالانوار، ج١، ص٢) ففي كلتا الحالتين، يبقى احترام الفرد واحترام شخصيته أمرًا ضروريًا.

في عهد الإمام علي عليه السلام كان هناك احترام متبادل ومساواة بين جميع الناس؛ لم يضطهد أحداً في عهد الإمام، فلما علمه أن ناهبي جيش معاوية قد اعتدوا على الناس ونزع مجوهرات النساء بالإهانة، فغضب جدا وقال: لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْمُعَاهَدَةِ فَيَنْتَزِعُ أَحْجَالَهَا وَ رُعُثَهُمَا، ... فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ دُونِ هَذَا أَسَفاً، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيراً» (مجلسی، بحارالانوار، ج۳۴، ص۱۴۳).

بغض النظر عن الدين والمذهب، فإن احترام مكانة المرء هو علامة على كونه إنسانًا، كأنّه لا بديل عن احترام الإنسان وكرامته شيئاً: حيث يقول: وَ أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَ إِنْ سَاقَتْكَ إِلَى رَغْبَةٍ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً وَ لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّا (المجلسي، بحارالانوار، ج۱، ص۲۳۶).

في ظل الحكم العادل لمولا أمير المؤمنين عليه السلام عاش الجميع في سلام وأمن، رغم أن أعداء الإسلام خاضوا ضده ثلاث حروب (الجمل، الصفين، النهروان) لكن تعامل الإمام علي (ع مع جميع أفراد المجتمع بالعدل، ودعم المظلومين والضعفاء هو مظهر من مظاهر الشخصية الإلهية للإمام عليه السلام

فلما التقى عليه السلام برجل مسيحي معاق وتركه أهل المجتمع وشأنه؛ لم يستطع عليه السلام أن يراه في مثل هذه الحالة وأمر: أَبِي حَمْزَةَ عَنْ رَجُلٍ بَلَغَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: مَرَّ شَيْخٌ مَكْفُوفٌ كَبِيرٌ يَسْأَلُ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَذَا فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ أَنْفِقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ (تهذيب الاحكام، ج۶، ص۲۹۲، ح۸۱۱) إذاً يجب احترام شخصية الآخرين، سواء كان ذلك على مستوى الفرديّ أم على مستوى الإجتماعيّ؛ وسواء كانت قرويّة أم كانت أهل المدينة. وهكذا فإن احترام بلد أو أمة أو مدرسة أمر حاسم لاستعادة السلام والمصالحة، فإذا ضاع هذا الاحترام، فهذه هي بداية الحرب والصراع ولا أحد يدرك عواقبها الخطيرة.

۳. منح حق الحياة للآخرين

فقبول حق الحياة السلمية للآخرين، ومنحهم الحق في العيش، سيؤدي إلى حياة

اجتماعية سلمية، ويقود المجتمع نحو الكمال؛ لكل إنسان، من حيث أنه إنسان، يحق له أن يعيش بكرامة في أي مجتمع شاء، وهذا حق مكتسب فطري لكل إنسان ولا يحق لأحد أن يحرمه من هذا الحق المسلم؛ وطالما يحترم المجتمع هذا الحق ويتمتع الناس بهذا الحق فلن تقع هناك مشكلة وسيصبح المجتمع مهد السلام والطمأنينة.

إن احترام شخصية الآخرين سواء أكان فردًا أم مجتمعًا أم مدينة أم بلدًا أم مدرسة فكرية أم أمة، يؤدي إلى السلام والوئام. إذا لم يؤخذ الاحترام المتبادل في مكان تندلع فيه الحرب والفتنة، فالله أعلم في هذا المجتمع ولا يعرف أين تنتهي هذه الحرب!.

أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كان دائما يؤيد السلام وهذا الشيء يحظى بالأهمية في كلماته وسيرته ايضاً، وكان عليه السلام يمتنع دائمًا عن إراقة دماء بالظلم؛ لأن الدم المظلوم يسلب السلطة ويغرقها؛ ومثل هذا الشخص سوف يسقط قريبًا في أحضان الموت ويعاني من العقاب الإلهي الذي لا ينقطع؛ وفي هذا الصدد، كان عليه السلام يرشد الناس باستمرار، حتى أكد هذه النقطة في رسالته الشهيرة إلى والي مصر، مالك الأشتر؛ حيث يقول: إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِحِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَي لِنِقْمَهٍ وَلَاأَعْظَمُ لِتَبِعَهٍ، وَلا أَحْرَ يبِزَوَ النِعْمَهٍ، وَانْقِطَاع مُدَّهٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِحَقِّهَا (المجلسى، بحارالانوار، ج٣٣، ص٦١١).

ففي هذه الرسالة يأمر عليه السلام المالك بالامتناع عن سفك الدماء المحرمة، لأن هذا الفعل سيعجل بعذاب الله، وسيُقبض على الظالم في عذاب الله بسبب هذا الظلم والظلم سينتقم عنه، ويضيف الإمام عليه السلام إلى هذا مشيراً: وَاللهُ مُبْتَدِءُ بِاالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيْمَا تَسَافَكُوامِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ (المجلسى، بحارالانوار، ج٣٣، ص٦١١).

فعلى الحاكم أن يتقي الله، وإذا استمر الحاكم في مخافة الله، فسيزدهر المجتمع ولن يظهر أي انعدام للأمان في هذا المجتمع، نعم تبدأ معظم الانتفاضات بالاغتيال الجائر للحكام ومن ثمّ تبتلع الدولة بأكملها، وواصل عليه السلام الأمر نفسه مخاطبًا لمالك الاشتر فقال: فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَالِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوْهِنُهُ بَلْ يُزِيْلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاعُذْرَلَكَ عِنْدَاللهِ وَلاعِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ.

اليوم، بحاجة مأسّة لتعليق هذه الكلمات المؤثّرة لمولانا امير المؤمنين عليه السلام على منازل الشخصيات المؤثرة المختلفة، وخاصة على منازل الطبقة الحاكمة مثل رئيس الوزراء، والرئيس الجمهوريّة، والوزراء، والمحافظين، وما إلى ذلك، كي يفهموا أنّه بإراقة الدماء الظالمة لاتتجزّر السلطة بل هذا سيؤدي إلى سقوط الحكومة، والدم الظالم يهزأسس الحكومة وسرعان ما يقضي على سلطة الحاكم.

ففي هذا الخطاب القصير، جسد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، حقوق الآخرين بوضوح؛ بمنتهى البلاغة والفصاحة.

فإذا تم قبول حقوق الإنسان والاعتراف بها، فإنه سيضع حداً للحرب والنزاع لأن سوق الحرب ساخن في إغراء القوة والثروة والمصالح أكثر من غيرها، وفي مثل هذه الحالة، لا تؤخذ حقوق الآخرين في الاعتبار، ولكي تحصل على السلطة القصوى ولأجل توسع دائرة الحكم تزيل السلام والأمن عن المجتمع، وهذا الفعل يسبب الفتنة والفوضى، والمجتمع يرسم خريطة جهنم، والقرآن الكريم يعطي أمثلة عن فترات مختلفة ودول مختلفة، حتى لا يقع الجيل القادم في هذه الأخطاء ويهلك، حيث يقول الله عزوجل: أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (يسين: ٣١).

وكذلك، بعض الدول كانت قوية جدًا من الناحية الاقتصادية، لكن ليس لها اليوم عنوان، حيث يقول الله: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (ق: ٢٤) فالدين يسعى إلى بقاء الإنسان ويستخدم الوسائل الممكنة والمشروعة لإنقاذ الإنسان من الهلاك.

تذكروا: أنّ إعتبار حقوق الآخرين هي نظرية قرآنية خالصة التي تقود البشرية إلى حقيقة بأنه خلاص إنسان واحد يساوي بخلاص جميع البش؛ وهكذا قتل إنسان واحد يساوي بقتل جميع البشر؛ ومن أجل ذلكح يقول الله عزوجل: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِنَفْسٍ أَوْفَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا (المائده: ٣٢).

ويتّضح بالوثائق الدينية على أن احترام حقوق الآخرين مبدأ قرآني يرسخ السلم والنظام في المجتمع، ويحمي المجتمع من الصراعات الوطنية والسياسية والثقافية والدينية والطائفية، ويضمن مستقبلاً آمناً ومزدهراً.

النتيجة

يجب أن تقوم الحياة الجماعيّة على المبادئ المصالحة والمفاهمة والاحترام المتبادل، والقرآن الكريم ينصّ على هذه الحقيقة وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام ايضاً يؤكّد بهذه الامور، وقد تبيّن في القرآن الكريم وفي كلمات امير المؤمنين معاً المبادئ الثلاثة المحددة لإحلال السلام بين مختلف الدول والبلدان والقبائل وفي الحياة الاجتماعية.

ويمكن حل العديد من المشكلات الاجتماعية إذا تم اتباع هذه المبادئ، وكما ورد في القرآن الكريم وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه توجد هناك ثلاث قواعد ذهبية لإحلال السلام بين مختلف الدول والأمم والمجتمعات، وهي قواعد مهمة للغاية، فهي عبارة عن: احترام حقوق الإنسان، واحترام شخصية الآخرين، وقبول حقوق الآخرين، فهي مبادئ يمكن، إذا تم الالتزام بها، أن تضع الأساس للأمن والرفاهية والسلام الدائم في المجتمعات البشرية.

والإسلام يدعو جميع البشر إلى السلام والأمن حتى يدعو أهل الكتاب إلى نفس المحور واحد، ويدعو الإتفاف حول كلمة الحق.

لا يسمح الإسلام بالعدوان على أحد، ويسمح فقط بالحرب في وجه الفوضى في المجتمع وحماية مجد الإسلام من الأعداء، وإلا فإنه يعتبر قتل شخص واحد هو بمثابة قتل جميع البشر وخلاص شخص واحد يعادل خلاص الجميع البشر، لذلك المبدأ في الإسلام هو السلام، وإذا لم تكن هناك إمكانية للسلام، فإنه يسمح بالحرب بشكل محدود وبشروط خاصة.

المصادر والمراجع:

۴۲. القران الكريم.
۴۳. نهج البلاغة.
۴۴. الجعفري لانجرودي، محمد جعفر، مصطلحات القانون، مكتبة جانج الدنماركية، ۱۹۸۷ش.
۴۵. الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، دار الأضواء، بيروت ۱۴۳۰ هـ۱۴۳۰.
۴۶. عميد، حسن، فرهنك عميد، منشورات أمير كبير، الطهران، ۱۹۸۳.
۴۷. فيض الإسلام، علي نقي، نهج البلاغة، الطهران، بي تا، ۱۳۶۴.
۴۸. المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار، بيروت، بي تا، مؤسسة الوفاء.
۴۹. المطهري، مرتضى، مجموعة أعمال، منشورات صدرا، قم.
۵۰. الروحاني، السيد محمد صادق، فقه الصادق عليه السلام، قم: دار الكتاب 1314 .
۵۱. المهري، علامة سيد مصطفى، ظروف العمل من وجهة نظر نهج البلاغة (۴): فرهنك كوثر ۱۳۷۶ رقم ۱۲.

https: //www.leader.ir/fa
https: //wiki.ahlolbait.com
http: //tadabbor.org
http: //iemt.blogfa.com/post/699
https: //karevansadeghiye.ir
https: //zucela.governlearnmultiply.top
http: //ensani.ir/fa/article
https: //fa.wikipedia.org
http: //www.imam-khomeini.ir
http: //ensani.ir/fa/article